

كلمة الأب البروفسور جورج حبيقة

رئيس جامعة الروح القدس الكسليك

في احتفال توقيع اتفاقية تفاهم

بين الجامعة وجمعية "طاقة الإيمان اللبناني" LFE

في 27 شباط 2019

باسم قدس الأب العام الأباتي نعمة الله الهاشم الجزيل الاحترام، الرئيس العام للرهبانية اللبنانية المارونية، والرئيس الأعلى للجامعة، يطيب لي أن أرحّب بمعالى الأستاذ جبران باسيل، وزير الخارجية والمغتربين، ممثل فخامة رئيس الجمهورية العماد ميشال عون، وبأصحاب المعالى الوزراء وبأصحاب السعادة النواب والمدراء العاميين، وبأصحاب السعادة السفراء، وأخصّ منهم الدكتور Géza Mihályi سفير جمهورية هنغاريا في لبنان، وبالآباء المدبرين العاميين، وبالمحامي لوران عون، رئيس جمعية طاقة الإيمان اللبناني، وبالفعاليات القضائية والدبلوماسية والنقابية والحزبية والعسكرية والأمنية والسياسية والجامعية والبلدية والاختيارية والمدنيّة والاقتصادية وممثليهم، وبآباء وأعضاء مجلس الجامعة، وبكلّ شخص حاضر معنا وبجميع مشاهديننا الأعزاء عبر شاشة الـ MTV مع امتناننا العميق لها على نقل وقائع هذا الاحتفال مباشرة. إنني أرحّب بكم فردا فردا في جامعة الروح القدس الكسليك، جامعة الروح والعقل، جامعة شباب لبنان الواعد الذي يضجّ بالحيوية والطاقات المبدعة والاندفاع والشجاعة والإيمان.

ما يجمعنا اليوم في حرم جامعتنا، تحت راية "المحافظة على ذاكرة المعالم المقدسة"، إنما هو الماضي بترائاته الماورائية والروحية، من أجل حاضر يستمد طاقته من سالف الأيام المجيدة وينحو إلى أفق مستقبلية أكثر روحانية وإنسانية وسلامية، زاهرة ومتألّقة. بالفعل، إن ظاهرة الدين وتجاوز عالم المحسوسات وتذهُن وجود آخر هو في أصل عالمنا وفي مصبه، جميع هذه المعطيات واكبت الإنسان منذ البدء. وأعظم المعالم الأثرية من الأزمنة الغابرة والحالية تعود في أكثريتها الساحقة إلى البعد الماورائي-الإيماني في وعي الإنسان لسر حياته وصيرورتها عبر استحقاق الموت.

في فلسفة أو غست كونط (Auguste Comte)، نفع على مقارنة مختلفة لظاهرة الدين. فهو يرى، في المسيرة التطورية للبشرية، ثلاث حقبات؛ أولاً الحقبة اللاهوتية، ثانياً، الحقبة الماورائية، وثالثاً: الحقبة الوضعية، حيث يتخلى الإنسان عن التنقيب عن العلل الأساسية وجوهر الأشياء ويكتفي بكشف القوانين التي تتحكم في الأحداث عبر المشاهدة والتحليل. فالدين والتدين والإيمان والفكر الماورائي إنما هي، وفق فلسفة أو غست كونط الوضعية، مرحلة عابرة ليس إلا في مسار الإنضاج الذي ينخرط فيه الفكر البشري ويتجاوز نهائياً ليقيم بشكل ثابت ودائم في استضافة العلم والتكنولوجيا.

هذه الثقة المفرطة وغير الواقعية بالعلم والتكنولوجيا لم تلق ترحاباً لدى عالم الرياضيات والمنطق والفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein). مع اعترافنا بأهمية العلوم وخدماتها القيمة لحاجات الإنسان، نتساءل هنا بحق أين نجاحات الطب في الشفاء من الأمراض المستعصية؟ أين أجوبة العلوم على أسئلة الإنسان الخالدة وأسرار الكون الذي نحن فيه؟ أين النظريات العلمية التي تخدم لفترة معينة ثم تسقط ليحل محلها نظريات يقولون إنها أدق، ولكن لا تلبث أن تعرف المصير عينه. لدرجة أن التاريخ تحوّل إلى مقبرة النظريات. مهما يكن من أمر، إننا مُسيّجون أبداً بالمجهولات، ومعارفنا ممهورة على الدوام بالجزئيات. لا نعتقد البتة أن القيام في استضافة العلم والتكنولوجيا يُنعم علينا بالسعادة ويُغدق علينا من فرح الوجود. فيقول فيتغنشتاين في هذه المسألة بالذات إن الإيمان بالله إنما هو نتيجة مباشرة لهزيمة العلم.

هذه المقاربة دحضها في القرن العشرين مؤرخ الأديان الشهير ميرسيا إيليا (Mircea Eliade) الذي توصل بعد تحاليله المعمقة لمفهوم الدين في تاريخ الإنسان، إلى إثبات الأمر التالي: إنَّ البعد الماورائي المتمظهر في ما نعتبره مقدساً هو من المكونات الأساسية لتفكير الإنسان ووجدانه: فهو يؤكد ما حریفته: "إن فعل الوجود للكائن البشري هو في حد ذاته فعل ديني، لأن الطعام والحياة الجنسية والعمل، كلها أعمال تكتسي طابعاً طقوسياً. وتعبير آخر إنَّ وجود الإنسان أو بالأحرى صيرورته إن هي إلا فعل ديني".

وفي السياق التفحصي ذاته، تبين المحللة النفسانية جوليا كريستيفا (Julia Kristeva)، المولودة في بلغاريا والمقيمة في فرنسا منذ 1966، والأستاذة في العديد من الجامعات الفرنسية والأميركية، مدى مساهمة الإيمان في صياغة عناصر شخصية الكائن البشري. وفي إحدى محاوراتها القيمة تتساءل بجرأة وموضوعية قائلة:

"أليس مستغرباً أن تكون مجتمعاتنا المُعلّمة قد أهملت الإهتمام بحاجة الإنسان المذهلة إلى الإيمان؟ ... إنني على ثقة أنه إذا تعاملنا بجديّة مع هذه الحاجة إلى الإيمان،

السابقة لمرحلة التدين، قد نتمكّن بشكل أفضل، ليس فقط من مواجهة الانحرافات الأصولية للأديان، في الماضي وحتى يومنا الحاضر، بل أيضاً من تجاوز المآزق التي تقع فيها المجتمعات المُعلّمة" (Julia Kristeva, *Cet incroyable besoin de croire*, Bayard, Paris 2007, p. 39).

من هنا علينا أن نتعاطى مع الإيمان لا كزبدٍ مرضيٍ لاختلال في وظائف العقل كما استساغت تصوّره النظريات الإلحادية، بل كمعطى إنساني مغرورٍ فطرياً في جوهر الطبيعة البشرية. فالإنسان يتنفّس الماورائيات، شاء أم أبى.

هكذا تعاطى لبنان مع هذا المعطى الجوهريّ في طبيعة الإنسان، وترجمه فلسفةً سياسيةً وجوديةً في ميثاقٍ تلاقٍ حضاري بين أديان متميزة، تتألف اختلافاً في صيغة حياتية تعترف بالآخر المغاير كشريكٍ سياسيٍ كامل العضوية في إدارة شؤون الوطن، مع الحفاظ المتشدّد على الذاتيات الدينية والثقافية المتنوّعة والمكوّنة للنسيج المجتمعي اللبناني التعدّدي.

ها نحن اليوم مجتمعون في حرم جامعة الروح القدس الكسليك، جامعة التفوّق العلمي والبحثي والتجذّر الروحي، المتربّعة على منصّة الجامعات الرائدة في العالم بحسب تصنيف QS world university ranking 2018، مع جمعية طاقة الإيمان اللبناني، التي تضمّ خيرة شبابنا المثقّف والمؤمن والمندفع والملتزم برسوليّة الكيان اللبناني. لا أعالي البتة إن قلت، هذه الطاقة الشبابية التي تستمدّ قوتها التغييرية من الذي هو فوق الزمن والتاريخ، هي وحدها قادرةٌ على ترميم هامة هذا الشرق المتجعّدة بالبلايا والمصائب.

يا شبابنا الأحباء، يا شباب طاقة الإيمان اللبناني، افرحوا بالحياة كما هي، فنتحوّل إلى الصورة التي ترغبونها فيها.

لا تدعوا أنبياء الويل يتسلّلون إلى مربّع أحلامكم وانتظاراكم. لا تدعوا التاريخ ومآسيه وخيباته يفتح حاضركم ويحطّم اندفاعاتكم نحو مستقبل زاهر. لا تنوحوا على أطلال الماضي، بل قولوا على الدوام اليوم الأجل هو الآتي.

افرحوا ببلدكم لبنان العصيّ على الموت وصديق الحياة والمذكور في الكتاب المقدس أكثر من سبعين مرةً رمزا للجبروت والخلود والحياة والفرح.

افرحوا ببلدكم لبنان الذي وضعه البابا القديس يوحنا بولس الثاني على منصّة المرجعية العالمية للدول المتعدّدة دينياً وثقافياً وحضارياً.

افرحوا ببلبنان، ببلدكم ووطنكم، مساحةً فريدة لبشرية تتصالح على الدوام مع ذاتها في تآلف الاختلاف.

افرحوا ببلبنان، موطن التناقضات الجميلة، ومنبت الأزمات المتناسلة أبداً من ذاتها، التي تجعل من بلدكم أنجع وسيلة لمعالجة الرتابة والضجر والسأم.

افرحوا بالآخر المختلف الذي تتقاسمون معه العيش المشترك، فهو الطريق إلى ذاتكم، وهو يُثري وجودكم، ويعقلن ردات فعلكم، ويُنزل معكم التعددية الفرحة إلى الساحات العامة، لتزرعوها حرية، واحتراماً، وحباً، وكلاماً صريحاً، مصلحاً بملح المودة واللطف، خدمة للخير والحق والجمال.

افرحوا حتى في الآلام التي قد تواجهونها، فهي تمحصكم في أئونها لكي تستحقوا العبور إلى القيامة.

افرحوا في التجربة مهما قست، فهي امتحانٌ لصدق خياراتكم.

ازدادوا فرحاً في الضيق، وحولوه إلى مخاض الولادة الجديدة.

افرحوا إن أنتم ضعفاء، فتتعلمون أن عظمة الانسان تقيم أبداً في الهشاشة.

في خلاصة الكلام، دعوني أهنئكم برئيس جمعيتكم الصديق العزيز المحامي لوران عون، الذي يجمع العلم والثقافة إلى الإيمان العميق ودمائة الأخلاق واللطف الإنساني الأخاذ. حتماً لا غرو إن قلت إن طاقته يستمدّها من حركية معالي الأستاذ جبران باسيل المذهلة، التي لا تستكين إلا في انطلاقات جديدة لا تعرف إلى الهوادة والسكون سبيلاً. ونحن أيضاً بدورنا، كجامعة الروح القدس الكسليك، شريككم في هذا الترخيم الإيماني وإنعاش شعلة الروح وتجذير فرح الوجود في يومياتنا القاسية وتعزيز اندفاع الرجاء في نضالاتنا الإنسانية والمجتمعية والوطنية، نستمدّ حماسنا المؤسساتي من رئيسنا الأعلى قدس الأب العام نعمة الله الهاشم، الذي يؤالف في تعددية مواهبه بين العلم والثقافة والروحانية الرهبانية والكهنوتية والفطنة والتميز والرؤى الاستراتيجية. تعالوا نُشبك أيدينا بعضها ببعض، ونصعدُ مرتّمين جذالي مزامير المراقبي صوب المدينة الجديدة، مدينة التلاقي في الله مصدر الوجود ومصبّه، مدينة الثّحاب على إيقاع الزمن الآتي. وشكراً.